تفسير السعدي

@ 270 @ باطلا والباطل حقا ، ولهذا قال تعالى : ! 2 2 ! أي : ولتميل إلى ذلك الكلام المزخرف ! 2 2 ! لأن عدم إيمانهم باليوم الآخر وعدم عقولهم النافعة ، يحملهم على ذلك . 2 ! 2 ! بعد أن يصغوا إليه ، فيصغون إليه أولا . فإذا مالوا إليه ، ورأوا تلك العبارات المستحسنة ، رضوه ، وزين في قلوبهم ، وصار عقيدة راسخة ، وصفة لازمة . ثم ينتج من ذلك ، أن يقترفوا من الأعمال والأقوال ، ما هم مقترفون . أي : يأتون من الكذب بالقول والفعل ، ما هو من لوازم تلك العقائد القبيحة . فهذه حال المفترين ، شياطين الإنس والجن ، المستجيبين لدعوتهم . وأما أهل الإيمان بالآخرة ، وأولو العقول الوافية ، والألباب الرزينة ، فإنهم لا يغترون بتلك العبارات ، ولا تخلبهم تلك التمويهات . بل همتهم ، مصروفة إلى معرفة الحقائق ، فينظرون إلى المعاني التي يدعو إليها الدعاة . فإن كانت حقا ، قبلوها ، وانقادوا لها ، ولو كسيت عبارات رديئة ، وألفاظا غير وافية . وإن كانت باطلا ، ردوها على من قالها ، كائنا من كان ، ولو ألبست من العبارات المستحسنة ، ما هو أرق من الحرير . ومن حكمته تعالى ، في جعله للأنبياء أعداء ، وللباطل أنصارا قائمين بالدعوة إليه ، أن يحصل لعباده ، الابتلاء والامتحان ، ليتميز الصادق من الكاذب ، والعاقل من الجاهل ، والبصير من الأعمى . ومن حكمته أن في ذلك بيانا للحق ، وتوضيحا له . فإن الحق يستنير ويتضح ، إذا قام الباطل يصارعه ويقاومه . فإنه حينئذ يتبين من أدلة الحق ، وشواهده الدالة على صدقه وحقيقته ، ومن فساد الباطل وبطلانه ، ما هو من أكبر المطالب ، التي يتنافس فيها المتنافسون . ! 2 2 ! أي : قل يا أيها الرسول ! 2 2 ! أحاكم إليه ، وأتقيد بأوامره ونواهيه . فإن غير ا محكوم عليه ، لا حاكم . وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على النقص ، والعيب ، والجور . وإنما الذي يجب أن يتخذ حاكما ، هو ا وحده لا شريك له ، الذي له الخلق والأمر . ! 2 2 ! أي : موضحا فيه الحلال والحرام ، والأحكام الشرعية ، وأصول الدين وفروعه ، الذي لا بيان فوق بيانه ، ولا برهان أجلى من برهانه ، ولا أحسن منه حكما ، ولا أقوم قيلا ، لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة . وأهل الكتب السابقة ، من اليهود ، والنصارى ، يعترفون بذلك ^ (ويعلمون أنه منزل من ربك بالحق) ^ ولهذا ، تواطأت الأخبار ! 2 2 ! تشكن في ذلك ولا ! 2 2 ! . ثم وصف تفصيلها فقال : ! 2 2 ! أي : صدقا في الإخبار ، وعدلا ، في الأمر والنهي . فلا أصدق من أخبار ا التي أودعها هذا الكتاب العزيز ، ولا أعدل من أوامره ونواهيه و ! 2 2 ! حيث حفظها وأحكمها بأعلى أنواع الصدق ، وبغاية الحق . فلا يمكن تغييرها ، ولا اقتراح أحسن منها . ! 2 2 ! لسائر

الأصوات ، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات . ! 2 2 ! الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن ، والماضي والمستقبل . ! 2 2 ! يقول تعالى ، لنبيه محمد صلى ا عليه وسلم ، محذرا عن طاعة أكثر الناس : ! 2 2 ! فإن أكثرهم قد انحرفوا في أديانهم ، وأعمالهم ، وعلومهم . فأديانهم فاسدة ، وأعمالهم تبع لأهوائهم ، وعلومهم ليس فيها تحقيق ، ولا إيصال لسواء الطريق . بل غايتهم أنهم يتبعون الظن ، الذي لا يغني من الحق شيئا ويتخرصون في القول على ا ، ما لا يعلمون . ومن كان بهذه المثابة ، فحري أن يحذر ا منه عباده ، ويصف لهم أحوالهم ؛ لأن هذا وإن كان خطابا للنبي صلى ا عليه وسلم فإن أمته تبع له ، في سائر الأحكام ، التي ليست من خصائصه . وا تعالى أصدق قيلا ، وأصدق حديثا ، و ! 2 2 ! وأعلم بمن يهتدي ويهدي . فيجب عليكم أيها المؤمنون أن تتبعوا نصائحه وأوامره ونواهيه لأنه أعلم بمصالحكم ، وأرحم بكم من أنفسكم . ودلت هذه الآية ، على أنه لا يستدل على الحق ، بكثرة أهله ، ولا تدل قلة السالكين لأمر من الأمور ، أن يكون غير حق . بل الواقع بخلاف ذلك ، فإن أهل الحق ، هم الأقلون عددا ، الأعظمون عند ا قدرا وأجرا . بل الواجب أن يستدل على الحق والباطل ، بالطرق الموصلة إليه . ! 2 2 ! يأمر تعالى ، عباده المؤمنين ، بمقتضى الإيمان ، وأنهم ، إن كانوا مؤمنين ، فليأكلوا مما ذكر اسم ا عليه ، من بهيمة الأنعام ، وغيرها ، من الحيوانات المحللة ، ويعتقدوا حلها ،